إثبات البعث في القرآن الكريم بتطبيق طريقي الاستدلال المنطقي غير المباشر القياس والتمثيل

د. شريف الشيخ صالح الخطيب* عمر عليان إبراهيم حسونة**

تاريخ وصول البحث: 2020/1/5م **تاريخ قبول البحث: 2020/8/6م**

ملخص

تناول هذا البحث موضوع إثبات البعث بطريقي الاستدلال غير المباشر: القياس، والتمثيل من خلال آيات القرآن الكريم؛ لبيان أهمية الاستدلال العقلي المنطقي في إثبات قضايا العقيدة، خصوصا لمن لا يؤمنون بالنص أصلا، ويأتي هذا البحث لاستنباط هذه الأدلة عبر ضرب الأمثلة من نصوص القرآن الكريم فقط، وقد توصل البحث إلى أن القياس والتمثيل يفيدان اليقين فيما تدل عليه على إثبات العقائد عموما، وعلى إثبات البعث خصوصا، كونه موضوع بحثنا.

الكلمات المفتاحية: البعث، العقيدة، القياس، التمثيل.

Proving the Resurrection in the Holy Quran By applying indirect logical reasoning, measurement and representation

Abstract

This research tackles the issues of providing the resurrection according to two ways: the indirect inference: analogy, and comparison of the Holy Quran's verses. In order to demonstrate the importance of logical mental reasoning in providing believes issues. Especially, those who don't believe in the text at all. Besides, the paper inferences these evidences by providing examples from the Holy Quran's texts only. The research concludes that analogy and comparison lead to certainty by indicating the belief's evidence in general. Also it especially confirms the resurrection issues because it is our concern here.

Keywords: Resurrection, Belief, Analogy, Comparison.

المقدمة.

الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر هما أصلان من أصول الدين الإسلامي، من أجلهما بعث الله أنبياءه ورسله أجمعين، فكل الأنبياء –عليهم السلام– كانوا يدعون أقوامهم إلى الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر، قال تعالى على لسان أنبيائه –عليهم السلام–: ﴿**قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ**﴾[الأعراف: 25]، وقال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا**﴾[نوح: 17–18]، وقال تعالى: ﴿**فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**﴾[الشعراء: 77–83]، ويقول الله ﷻ لكليمه موسى عليه السلام: ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا**

* أستاذ مشارك، قسم العقيدة، جامعة آل البيت.

** باحث.

تَسْعَى﴾[طه: 15]، أما عيسى ﷺ فكان من كلماته: **﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾**[مريم: 33].

أما خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فقد أنزل عليه القرآن الكريم، مثبتاً للبعث ومقسماً بوقوعه، وداعياً لنبيه ﷺ بالقسم بوقوعه، ومقيماً للأدلة المتنوعة على إثباته، وأقسم بأعظم الأقسام أن البعث آتٍ لا ريب فيه فقال تعالى: **﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾**[التغابن: 7]، ويؤكد بأقوى الحجج والبراهين للمنكرين للبعث وقوعه، فأقسم بمخلوقاته على وقوع البعث، فقال: **﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾**[الذاريات: 1-6]، وعند النظر في سور القرآن الكريم وآياته، نجد فيه آيات كثيرة عن البعث، وتأكيد وقوعه، والرد على من ينكره، أو يرتاب فيه.

وقد أورد الله ﷻ تكذيب الكفار بالبعث، فقال تعالى: **﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾** [الإسراء: 49]، وقال تعالى: **﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾**[مريم: 66]، وقال تعالى: **﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾**[المؤمنون: 82]، ولكن الله ﷻ رد عليهم، وأبطل شبههم في كثير من السور والآيات، كما سيأتي بإيراد شبههم والرد عليها.

ثم ظهرت بعد ذلك طوائف عقلانية أنكرت البعث الجسماني، وقالوا: إن البعث يكون للأرواح لا للأجسام، وإن الله سيجزي الأرواح على الخير خيرًا، وعلى السوء سوءًا، وقولهم: هذا يشبه قول المشركين الذين أنكروا البعث الروحاني والجسماني، قال تعالى: **﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾**[ق: 3]، **﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[النحل: 38].

وقد ذكر الله ﷻ البراهين على البعث، وهي براهين معنوية وحسية؛ ليرسخ هذا المعتقد في القلوب؛ فينتج بذلك العمل والاستعداد لذلك اليوم، وموقف الكافرين من البعث كان دائما هو الإنكار والتعجب والتكذيب، وخصوصا زمن تنزيل القرآن الكريم، قال الله –تعالى–: **﴿ق وَالقرآن الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيد﴾**[ق: 1- 3].

وردت في القرآن أدلة على إمكانية وقوع البعث، وهذه الأدلة دامغة، جاءت للرد على من أنكر البعث، وتثبيتاً لقلوب المؤمنين، مقرباً لهم أمر البعث بأدلة مشاهدة لديهم؛ ليثبت عدم وجود ما يمنع في العقل من وجود حياة أخرى.

مشكلة البحث.

ستجيب هذه الدراسة عن الأسئلة الآتية:

1- هل يثبت البعث يوم القيامة بطرق الاستدلال غير المباشر التي جاءت في القرآن الكريم؟
2- ما طرق الاستدلال غير المباشر التي استخدمت في القرآن الكريم في إثبات البعث؟
3- هل الطرق التي استخدمت في القرآن الكريم تفيد اليقين، وتقيم الحجة على المنكر؟
4- هل ما أورده القرآن من أمثلة قياسية ولم نشاهدها يُعدّ دليلاً على من لم يرها؟

أهداف البحث.

1- بيان المقصود بطرق الاستدلال المنطقية.

2- استنباط طرق الاستدلال غير المباشر: القياس، والتمثيل على إثبات البعث من خلال نصوص القرآن الكريم.
3- الرد على الشبهات التي أثارها المنكرون للبعث، من خلال الأقيسة المنطقية والتمثيل.
4- بيان القصص المتعلقة بإحياء الموتى في الحياة الدنيا، والاستدلال عليها بطريقي: القياس، والتمثيل.

أهمية البحث.

نشير إلى أن هذا الموضوع تطرق إليه كثير من الباحثين سواء ممن سنشير إليهم بالدراسات السابقة أو غيرهم، ولكن الجديد في هذا البحث محاولة تطبيق القياس والتمثيل كطريقين من طرق الاستدلال المنطقي العقلي غير المباشر على الآيات القرآنية الواردة بالبعث، علما بأن الأسلوب القرآني يتميز عن أسلوب المناطقة بالإيجاز والاستدلال المباشر، لكننا هنا احتجنا لاستخدام هذا الطريق؛ لإقناع الخصم الذي أنكر البعث بأدلة منطقية عقلية لا يستطيع زاعم سليم العقل إنكارها.

وتطبيق أدلة المنطق على الآيات القرآنية فيه إقامة الحجة على الخصم الذي يقول إنه لابد من أدلة منطقية على إثبات البعث، وأما من ينكر البعث ولا يعتد بالمنطق وأدلته فإن الأدلة القرآنية كافية لإقامة الحجة على الخصم لمن يريدها مباشرة من القرآن دون النظر إلى الأدلة المنطقية، ووجود أدلة منطقية في القرآن دليل على تنوع أسلوبه في عرض أدلته، وبذلك يكون خطابًا مقنعًا للناس جميعًا.

وبهذا يكون البحث قد تميز عن غيره بتطبيق الأدلة المنطقية عن طريق الاستدلال غير المباشر بطريقي القياس والتمثيل على الآيات المثبتة للبعث في القرآن الكريم، وهذ لم يتطرق إليه أحد من الباحثين بدراسة مستقلة بحسب اطلاع الباحثين.

الدراسات السابقة.

من خلال اطلاعنا وجدنا بعض الدراسات السابقة في هذا المجال، وهي:

1- الأدلَّة العقليَّة النقلية على أصول الاعتقاد، للدكتور سعود بن عبد العزيز العريفي، ط1، دار عالم الفوائد، 1419هـ، المملكة العربية السعودية. ركز على أن النقل قد استخدم العقل في الاستدلال على العقيدة.
وتميزت دراستنا عن هذه الدراسة بأنها استخدمت الأقيسة المنطقية في إثبات مسألة البعث بأسلوب ومنهج مختلفين.
2- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة: عرضاً ونقداً، للدكتور سليمان بن عبدالله الغصن، ط2، دار العاصمة، 1432هـ. هذه الدراسة ركزت على المتكلمين و مكانة الأدلَّة العقليَّة عندهم بشكل عام، ولم تتعرض لبيان الأدلة المنطقية التي عالجها هذا البحث، الذي ركز على الأدلة العقليَّة المنطقية بالاستدلال غير المباشر في إثبات البعث في ضوء الآيات القرآنية، وبينت هذه الآيات أن ما جاء به المتكلمون في أنواع الاستدلال العقلي المنطقي، قد جاء في القرآن الكريم الذي سبق به تقرير المتكلمين وكان أساساً له، بأبلغ صورة وأوضح أسلوب.

منهج الدراسة.

سلكنا في دراستنا المناهج الآتية:

1- المنهج الاستقرائي: وقد تتبعنا الآيات التي وردت في البعث، كما تتبعنا الأدلة المنطقية موضوع البحث.
2- المنهج الاستنباطي: وذلك من خلال استنباط الأدلة المنطقية من خلال نصوص القرآن الكريم؛ لإثبات ما أردنا من طرق الاستدلال غير المباشر.

محددات الدراسة.

1- تنوعت الأدلة على البعث، سواء الأدلة النصية، أو الأدلة العقلية والمنطقية، ولكننا سنكتفي هنا بطريقي الاستدلال غير المباشر، وهما: القياس والتمثيل بوصفهما دليلين منطقيين على إثبات البعث.

2- اكتفينا بشاهد واحد أو ببعض الشواهد على كل نوع من الأدلَّة المنطقية، ولم نستوعب الشواهد كلها التي تدل على ذلك النوع؛ اختصاراً للبحث.

3- فصلنا في الأدلَّة المنطقية المختارة للمسائل العقدية المتعلقة بالبعث.

خطة البحث.

جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومطلبين وخاتمة بها أهم النتائج والتوصيات.

المطلب الأول: القياس بوصفه طريقا من طرق الاستدلال غير المباشر على إثبات البعث.

المطلب الثاني: التمثيل.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد.

تُعد الأقيسة العقلية مهمة لصيانة الفكر عن الوقوع في الخطأ، بمعرفة قوانين الاستدلال وأصوله الصحيحة، ومنها أصول الاستدلال المنطقي السليم[1].

ويعرف الاستدلال بأنه: "استنتاج قضية مجهولة من قضية معلومة، أو التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بملاحظة حكم تصديقي معلوم، أو ملاحظة حكمين فأكثر، من الأحكام التصديقية المعلومة"[2].

والاستدلال ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الاستدلال المباشر، وهو: "لا يحتاج فيه إلى أكثر من مقدمة، ويستدل به على صدق قضية على صدق أخرى أو كذبها، أو الاستدلال بكذب قضية على صدق قضية أخرى أو كذبها"[3]. وهذا القسم ليس محل دراستنا في هذا البحث.

القسم الثاني –وهو محل دراسة هذا البحث– وهو: الاستدلال غير المباشر، وهو: "ما يحتاج فيه إلى أكثر من قضية حتى نصل إلى النتيجة المطلوبة، ويكون في: القياس، والاستقراء، والتمثيل"[4]، وقد ركزت دراستنا على القياس والتمثيل.

والقياس هو: "صيغة شكلية لإثبات حقائق سبق العلم بها، ولكن حصلت الغفلة عن جوانب منها؛ إذ يأتي القياس المنطقي منبهاً عليها، أو ملزما الخصم بالتسليم بها إذا هو أنكرها"[5]. وموضوع إنكار البعث يصدق على ما سبق تماما، ولهذا اخترنا هذا الدليل المنطقي؛ لنبين طريق القرآن الكريم في الرد على من أنكر البعث مستنبطين القياس من خلال الآيات كما سيتضح بيانه.

أما التمثيل: "فهو عملية فكرية، تقوم على تشبيه أمر بآخر في العلة التي كانت هي السبب في حدوث ظاهرة من ظواهره، واعتبار هذا الشبه كافياً لقياس الأمر على الآخر في أن له مثل ظاهرته"[6]. وإنما سمي قياساً؛ لمشابهته القياس في علم أصول الفقه الذي يُعطى فيه الفرع حكم الأصل لاشتراكهما في علة واحدة بغض الطرف عن قوة أو ضعف هذه العلة. وسنبين في البحث أدلة على ذلك عندما يرد في محله المناسب.

المطلب الأول: القياس بوصفه طريقا من طرق الاستدلال غير المباشر على إثبات البعث.

من المعلوم أن القرآن الكريم استخدم الأقيسة المنطقية مع المخالفين للرد عليهم، و استعمل أسلوب القياس لإثبات قضية ما، أو تغيير المعتقدات السائدة عند بعضهم، أو الرد على شبهات الخصم، وفيما يأتي بيان بعض أنواع الأقيسة المنطقية مما يثبت أن القرآن الكريم استخدمها لإثبات البعث:

أولا: قياس الأولى: وهو أن يكون الغائب أولى بالحكم من الشاهد(7). وهذا معناه: إذا كان الحكم متوافرا في الأدنى فهو في الأعلى من باب أولى، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾[غافر: 57]، فالله –جل وعلا– أمَر العباد أن ينظروا في خلق السموات والأرض الذي هو أكبر من خلق الإنسان؛ فمن باب أولى أن يخلق الإنسان مرة ثانية. ومنه قول الله تعالى: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**﴾[الأنبياء: 104]، فقاس الإعادة على البداءة، وهذا ظاهر جداً، فإن كان قد ابتدأ شيئاً فأيسر عليه أن يعيده، في عرف الناس، مثال ذلك: الرجل لو صنع صنعة وسهلت عليه هذه الصنعة، فإذا أراد أن يعيدها كانت أسهل وأسهل. فمن أقوى الحجج القياسية وأوضحها في كلام الله ﷻ ما ورد في قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[الواقعة: 57–62]، ففي هذه الآيات يناقش المولى ﷻ المنكرين للبعث، فأخبر –سبحانه– بأنهم يقرون بأن الله –سبحانه– هو خالقهم، وهو الذي أنشأهم أوّل مرة، فكيف ينكرون البعث وهو ليس سوى إعادة إنشاء لما أنشأه أوّل مرة؟! بل هو أسهل من النشأة الأولى. ووجه القياس هنا: أنهم يقرُّون بالأصل، وهو أن الله خلقهم وأنشأهم النشأة الأولى، ولكنهم ينكرون ما هو مثله بل أولى منه بالإقرار، وهو البعث والإعادة بعد الموت، فالبعث أولى؛ لأن العلة –وهي القدرة– فيها أقوى؛ إذ من استطاع أن يُنشئ النشأة الأولى هو أشد قدرة وأكثر استطاعة على الإعادة والبعث كما في الآية. فالإعادة أهون من الإبداع والخلق كما في آيات أخر، كقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[الروم: 27]. وأهون من تدبير الإنسان وتدبير حياته من حين ولادته حتى يشب ويهرم، كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**﴾[القيامة: 37–40]. وأهون من إحياء الأرض بعد موتها، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[فصلت: 39]. وأهون من خلق الكون وتدبيره، كما قال تعالى: ﴿**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[يس: 81–82]. وقد أورد القرآن الكريم كثيراً من الآيات في موضوع القياس وبشكل واسع النطاق، والتي تمثل ظاهرة تستحق الدراسة والتأمل في المنهج القياسي، أو ما أسميته عملية القياس بوصفها واحدة من العمليات العقلية، ومن أمثلة ذلك قوله ﷻ: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ**﴾[الإسراء: 99]. وقوله ﷻ: ﴿**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ**﴾[يس:81]. ففي هاتين الآتيين الكريمتين إثبات حكم الشيء بناء على ثبوته لنظيره بشكل آكد وأقوى؛ لأن من خلق الشيء يكون قادراً على خلق مثله أو أقل منه، وقوله تعالى: ﴿**لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾[غافر: 57]. وقوله ﷻ: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ.**

الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّـجَرِ الأَخْضَـرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ. أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَـيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس: 78- 83]. فالذي يخلق من العدم من باب أولى قادر على الإعادة، والذي يخلق الشيء من ضده كالنار من الشجر الأخضر، قادر على خلقه من عناصـره، قال تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[الأحقاف:32]. وقال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾**[الروم:27]. واستخدم القرآن الكريم قياس الأولى بشكل واسع النطاق، وله تطبيقات كثيرة في كتاب الله ﷻ كما سبق بيانه.

من الآيات التي استخدمت في إثبات البعث، والتي سنقوم بتطبيق هذا الدليل عليها، إما نصا وإما معنى، ومنها:

- قول الله تعالى: **﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[غافر:57][8].

ودليل القياس الأولى في هذا النص أنه إذا كانت القدرة ثابتة للكبير (خلق السماوات والأرض)، فمن باب أولى أن تثبت للصغير (خلق الإنسان). ومعلوم أن السماوات والأرض حادثة (مخلوقة)، وبما أنها حادثة (مخلوقة) لا بد لها من محدث (خالق)، والمحدث (الخالق) لا بد أن يتصـف بالقدرة -وتتعلق القدرة بالإيجاد والإعدام-، وإذا اتصـف بالقدرة على خلق السماوات والأرض، فإن قدرته من باب أولى على بعث الإنسان بعد موته.

وإذا أثبتنا أن الله تعالى له صفة القدرة، فقد أصدرنا حكما إيجابياً بذلك، وهذا الحكم هو حكم تصديقي، جاء قبله تصورات غير مقترنة بحكم، ومن هذه التصورات على أن الله قادر على خلقه للسماوات والأرض ومن فيهن، وهذا ثابت بداهة لجميع الخلق، فإذا أثبتنا خلق الله تعالى للعظيم الذي خلقه من عدم، فإنه من باب أولى أن يعيد (ويبعث) ما خلق بعد إعدامه وإفنائه، فخلق السـماوات والأرض بعظمهن إيجاد من عدم، وأما البعث فهو إيجاد بعد إعدام، فكان من باب أولى أن نؤمن بالبعث بعد الموت.

وقد أكد هذا الاسـتدلال ابن تيمية -رحمه الله- فقال: "فإنه من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السـموات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم، والقدرة عليه أبلغ وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك"[9].

والعاقل يعلم أن خلق السـماوات والأرض خلق عظيم، فمن قدر على خلق العظيم، فهو أقدر على ما هو أهون منه، فقال الله -تعالى-: **﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾**[يس: 81]، فأخبر أن الذي أبدع السماوات والأرض، على جلالتهما وعظيم شأنهما، وعجيب خلقهما، أقدر على أن يحيي العظام البالية، فيردها إلى ما كانت عليه[10].

ويؤكد هذا الاستدلال محمد الشنقيطي في قوله: "ولذلك فإن من خلق الأعظم الأكبر، لا شك في قدرته على خلق الأضعف الأصغر، فخلقه -جل وعلا- للسماوات والأرض من أعظم الأدلة والحجج على بعث الناس بعد الموت"[11].

وإذا كانت قدرة الله تعالى ظهرت مما سـبق على خلق الأكبر والأعظم، وهي السـماوات وما فيهن من كواكب ونجوم، والأرضـين السـبع وما فيها من جبال وبحار، فمن باب أولى أن يكون قادراً على خلق ما هو أصـغر من ذلك، وهو بعث الإنسان بعد الموت.

- ومما يدل على قياس الأولى قول الله تعالى: **﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾**[يس: 78-79].

وتطبيقا لهذا القياس نقول:

المقدمة الصغرى: الله قادر على الخلق ابتداءً من غير مثال سابق.

المقدمة الكبرى: كل قادر على الخلق ابتداءً من غير مثال سابق، قادر على الإعادة.

النتيجة: الله قادر على الإعادة.

فإذا كان الله ﷻ قد خلق الإنسان في المرة الأولى بقدرته وأفناه بقدرته، فإن قدرته تتعلق كذلك بإحيائه بعد موته يوم القيامة، فإن إحياءه بعد موته أمر متساوٍ مع خلقه أول مرة.

في قول الله تعالى: **﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾**[يس: 78] فهذا استفهام إنكار متضمن للنفي، أي: لا أحد يحيي العظام وهي رميم، فإن كونها رميماً يمنع عنده إحياءها، لمصيرها إلى حال اليبس والبرودة، المنافية للحياة التي مبناها على الحرارة والرطوبة، ولتفرق أجزائها واختلاطها بغيرها، والتقدير أن هذه العظام رميم، ولا أحد يحيي العظام وهي رميم فلا أحد يحييها، فقال الله تعالى: قُلْ **﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾**، وقد أنشأها من التراب ثم قال: "وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ"؛ ليبين علمه بما تفرق من الأجزاء[12].

<u>ثانياً: قياس الغائب على الشاهد، أو الاستدلال بالنظير على نظيره.</u>

يُعرف قياس الغائب على الشاهد بأنه: "إذا وجب الحكم والوصف للشيء في الشاهد لعلة ما، فيجب القضاء على أن من وصف بتلك الصفة في الغائب، فحكمه أنه مستحق لتلك العلة، حكم مستحقها في الشاهد"[13]. ومما يدل عليه قيام الإنسان من نومه، فإن كان النوم موت فإن الاستيقاظ بعده حياة، وهذا شاهد، فكذا يُقاس عليه البعث الذي هو غيب بعد الموت الذي هو نهاية الحياة وهو غيب.

ومن ذلك أيضا قول الله تعالى: **﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾**[الروم: 19].

الأصل: إحياء الأرض بعد موتها، أو إخراج الحي من الميت.

الفرع: إخراج الناس من قبورهم أحياء يوم القيامة.

العلة: إخراج وإحياء بعد الموت.

ويلزم من العلة: وجود قدرة مطلقة، وهو المعنى الجامع.

وقول الله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[الأعراف:57][14].

الأصل: إحياء الأرض بعد الموت.

الفرع: إحياء الإنسان بعد موته.

العلة: الإعادة بعد الموت.

النتيجة: قدرة الله تعالى مشاهدة محسوسة في الموجودات.

وبناءً عليه:

المقدمة الصغرى: كل ممكن يجري عليه الإيجاد والإعدام، والحياة والموت.

المقدمة الكبرى: القدرة الإلهية متعلقة بكل ممكن (الموجودات).

النتيجة: القدرة الإلهية متعلقة بالإيجاد والإعدام والحياة والموت.

وهنا يظهر أن الإيجاد والإعدام محسوسان بظواهره.

وتفصيل ذلك: فمَن أحيا الأرض الميتة بإنزال المطر عليها، حتى أخرجت النبات، وأصبحت مخضرة وأشجارها مثمرة بعد موتها، قادر على أن يحيي الأموات بعد موتهم، وهنا قاس الغائب، وهو بعث الأموات من قبورهم بعد الموت، على ما هو شاهد وحاضر، وهو إحياء الأرض الميتة بإنزال المطر عليها، وإحياء الأرض الميتة بالماء لا ينكره عاقل.

وأُكد هذا المعنى الطبري عند قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾**، أي: إنّ الذي أحيا هذه الأرض الدارسة فأخرج منها النبات، وجعلها تهتزّ بالزرع من بعد يبسها ودثورها بالمطر، الذي أنزل عليها لقادر أن يحيي أموات بني آدم من بعد مماتهم بالماء الذي ينزل من السماء لإحيائهم"[15].

وقد أشار ابن القيّم –رحمه الله– إلى هذا الدليل، فقال: "جعل الله –سبحانه– إحياء الأرض بعد موتها نظير إحياء الأموات، وإخراج النّبات منها نظير إخراجهم من القبور، ودلّ بالنّظير على نظيره، وجعل ذلك آية ودليلاً على خمسة مطالب ... خامسها: أنّه يخرج الموتى من القبور كما أخرج النّبات من الأرض"[16] وقد أشار الحكمي إلى دليل قياس الغائب على الشاهد، فبين أن إحياء الموتى وإخراجهم من القبور بعد ذكر إحيائه الأرض بالماء؛ ليستدل العاقل على الآجل بالعاجل، وعلى الغيب بالحاضر، فيقول ﷻ: **﴿كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾**[ق: 11]، **﴿كَذَٰلِكَ النشور﴾**[فاطر: 9]، **﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾** [الزخرف: 11]، **﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**[البقرة: 73]، فهنا أثبت البعث بما هو مشاهد على ما هو غائب[17]. ويطبق الشنقيطي بعبارة واضحة جلية ما قررناه في هذا الدليل بقوله: "فدل –سبحانه– عباده بما أراهم من الإحياء الذي تحققوه وشاهدوه، على الإحياء الذي استبعدوه، وذلك قياس إحياء على إحياء، واعتبار الشيء بنظيره، والعلة الموجبة هي عموم قدرته –سبحانه– وكمال حكمته، وإحياء الأرض دليل العلة، ومنه قوله تعالى: **﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾**[الروم: 19][18]. وقد أشار ناصر الشيخ إلى اشتراك الغائب مع الشاهد في علة أن كليهما من الممكنات، فإذا كان قد أحيا الأرض بعد موتها ورأينا ذلك بالمشاهدة، فإننا نقيس على ذلك الغائب، وهو إحياء الإنسان بعد موته يوم القيامة، حيث إن تَبَدُّلَ أحوال النباتات من حياة إلى موت، فتيبس وتتفتت، ثم تسقى بالماء فتعود إليها الحياة، دليل على أن إعادة الحياة إلى الإنسان مرة أخرى ليس أمراً مستحيلاً، كما عادت الحياة إلى النباتات المختلفة بعد موتها؛ لأن المشابهة واضحة في قدرة الله تعالى على إعادة الحياتين، كما كانتا، فالقدرة الإلهية تعلقت بممكنين هما: إحياء الأرض، وإحياء الأموات، وبما أن إحياء الأرض في قدرة الله تعالى وهي ممكنة فكذلك إحياء الأموات، ولفت القرآن الكريم أنظار المنكرين للبعث إلى التبصر في الموجودات الحسية واستنتاج العظة والعبرة منها؛ ليعود للنفس إيمانها، فتسعد بالطمأنينة والاستقرار، وإحياء الأرض بعد موتها بالنبات من الأمور الحسية المشاهدة، ومن قدر على إعادة الحياة للنبات، أيعجز أن يعيد إلى الإنسان حياته مرة أخرى لمجازاته على أعماله في الدنيا؟ بلى إنه على كل شيء قدير[19] وأشار كذلك عبد المحسن عباد إلى هذا الدليل، فبين أن الكفار استبعدوا البعث، وأنكروا بأن يكون البعث للأجساد التي كانت في الدنيا، فبين –سبحانه– أنه كما يخرج النبات من الأرض من البذر، فإنه يخرج الميت من القبر كما كان في الدنيا، قال الله تعالى: **﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾**[ق: 1–3]، والذي يثبت أن الأجساد التي في الدنيا هي التي تبعث يوم القيامة[20].

ومما يدل أيضا على هذا النوع من قياس الغائب على الشاهد قول الله تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ**﴾[يس: 80].

كل متغير ومحسوس لا بد له من مغير.

المقدمة الصغرى: إيقاد النار من الشجر الأخضر يتعلق بقدرة الله تعالى.

المقدمة الكبرى: إخراج النار من الشجر الأخضر قضية محسوسة.

النتيجة: القضايا المحسوسة تتعلق بقدرة الله تعالى.

ودليل المقدمة الأولى: أنها قضية بدهية، فمن رأى النار تخرج من الشجر الأخضر قطع بأن لها فاعلاً أخرجها وهو الله تعالى. ودليل المقدمة الثانية: أنها قضية نظرية ومشاهدة محسوسة، بأن الشجر الأخضر يوقد فتخرج منه النار.

وهذا يعني: أن قدرة الله –تعالى– تعم المحسوسات والغيبيات، والمحسوسات أمور مشاهدة، وهنا نقيس الغائب على الشاهد، فكما أنه تعالى قادر على إخراج النار من الرطب واليابس فهو –سبحانه– قادر على بعث الأجساد من قبورها. وهو –سبحانه– فعال لما يريد، قادر على كل شيء لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فسبحانه قادر على بعث الأموات من قبورهم، بدليل النار التي يخرجها من الشجر الأخضر، والنار التي تخرج من الشجر الأخضر لا ينكرها عاقل، فهذه النار الحارة اليابسة تخرج من الشجر الأخضر مع رطوبته وبرودته، والرطوبة واليبوسة ضدان لا يجتمعان، فجمعهما الله تعالى؛ لبيان قدرته، والحياة والموت ضدان كذلك، فمن قدر على الجمع بين الضدين قدر على إحياء الأموات بعد أن تحولوا إلى اليبوسة، وإعادة الحياة فيهم مرة أخرى.

وفي ذلك يقول الرازي –رحمه الله–: "إن الإحياء بعد الموت لا يستنكر إلا من حيث إنه يحصل الضد بعد حصول الضد، إلا أن ذلك غير مستنكر في قدرة الله – تعالى–؛ لأنه لما جاز حصول الموت عقب الحياة، فكيف يستبعد حصول الحياة مرة أخرى بعد الموت؟ فإن حكم الضدين واحد، قال الله تعالى مقررا لهذا المعنى: ﴿**نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ**﴾[الواقعة: 60]، وأيضا نجد النار مع حرها ويبسها تتولد من الشجر الأخضر مع برده ورطوبته، قال الله –تعالى–: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ**﴾[يس: 80]، فكذا هاهنا، فهذا جملة الكلام في بيان أن القول بالمعاد، وحصول الحشر والنشر غير مستبعد في العقول"[21].

وقال القرطبي: وأما قوله تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ**﴾[يس: 80]، دل على كمال قدرته في إحياء الموتى بما يشاهدونه من إخراج المحرق اليابس من العود الندي الرطب؛ وذلك أن الكافر قال: النطفة حارة رطبة بطبع الحياة فخرج منها الحياة، والعظم بارد يابس بطبع الموت فكيف تخرج منه الحياة! فأنزل الله –تعالى–: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً**﴾، أي: أن الشجر الأخضر من الماء، والماء بارد رطب ضد النار وهما لا يجتمعان، فأخرج الله تعالى منه النار، فهو القادر على إخراج الضد من الضد، وهو على كل شيء قدير[22].

وقد ذكر القاضي مجير الدين الحنبلي نوع الشجر الذي يخرج منه النار، فقال: "هما شجرتان يقال لإحداهما: المرخ، وللأخرى: العفار، يقطع منهما قضيبان، وهما خضراوان، فيسحق المرخ وهو ذكر، على العفار وهي أنثى، فتتقدح النار بإذن الله تعالى: ﴿**فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ**﴾ تقدحون، وهذا دليل على القدرة على البعث؛ لأنه تعالى جمع بين الماء والنار والخشب، فلا الماء يطفئ النار، ولا النار تحرق الخشب"[23].

خلق الله تعالى الشجر من ماء حتى صار أخضراً طريا، ثم أعاده إلى أن صار حطبا يابسا توقد به النار، ومن قدر على فعل ذلك كان قادرا، لا يمنعه شيء؛ إذ من أحدث النار في الشجر الأخضر على ما فيه من المائية المضادة للاحتراق، فهو أقدر على إعادة الغضاضة إلى ما كان غضّا فيبس وبلي[24].

المطلب الثاني: التمثيل.

بيّنا في التمهيد المقصود بالتمثيل، وأنه طريق من طرق الاستدلال غير المباشر، وأن التمثيل في المنطق أشبه ما يكون بالقياس في أصول الفقه، وإنما كان وجه الشبه في أن المقيس في أصول الفقه يُعطى حكم المقيس عليه؛ لتشابههما في علة واحدة، وفي المنطق: فإنَّ مشاركةً جزئيةً لآخر في علة الحكم تثبت الحكم له.

والقرآن الكريم سلك في استدلاله على إمكان البعث بعد الموت مسلكاً قويماً جمع فيه بين أمورٍ عدة، منها ما فطرت عليه النفوس من الإيمان بالمشاهدات والمحسوسات، وقد بيناه سابقاً. وكذا بطريقة إثبات البعث بالتمثيل الوارد في القرآن الكريم، وهذه الطريقة تفرد بها القرآن الكريم، وسبق فيها الفلاسفة والمناطقة.

وقد قال ابن تيمية –رحمه الله– في ذلك: "ذكر الله تعالى في كتابه من دلائل المعاد وبراهينه، ما لا يقدر أحد على أن يأتي بمثله، وذكر فيه من أصناف الحجج ما ينتفع به عامة الخلق، فإنه –سبحانه– دل على إمكان إحياء الموتى وقدرته على ذلك بطريق الوجود والعيان، وبطريق الاعتبار والبرهان، والأول أعظم الطريقين، فلا شيء أدل على إمكان الشيء من وجوده"[25].

وقوله بالوجود والعيان ينطبق على القصص القرآني، الذي تحدث عن إحياء الموتى، وقد شاهده وعاينه من كان موجوداً في ذلك الزمان، وإذا نقل إلينا بالتواتر، فيصبح أمراً قطعياً وثابتا، وإذا كان الأمر كذلك، فإن إحياء الموتى في الدنيا هو دليل على إحياء الموتى وبعثهم يوم القيامة؛ لأنه لا فرق بين الإحياء في الدنيا والإحياء والبعث في الآخرة أمام القدرة المطلقة لله ﷻ في إحياء الموتى.

إن إحياء الموتى يوم القيامة هو مثل إحيائهم في الدنيا ولا فرق، وإن قدرته ﷻ وإن كانت قد تعلقت بإحياء الأفراد، ثم إحياء المجموعات، ثم إحياء الكائنات الحية من غير البشر، يُدَلِلُ على قدرة الله تعالى المطلقة في الإحياء، فإذا كانت قدرته قد تعلقت بمثل هذا الأمر في الدنيا، فإنها تتعلق كذلك ببعثهم يوم القيامة، وتطبيقاً لقياس التمثيل الذي استخدم في القرآن الكريم، فإننا نريد تطبيقها على الآيات الواردة في ذلك.

فهذا الدليل يقوم على أصل وفرع وجامع بينهما ثم الحكم، وبناءً عليه:

فإن الأصل: إحياء الأموات في الحياة الدنيا في أكثر من موضع في القرآن الكريم.

والفرع: هو إحياء الأموات في الآخرة.

والجامع بينهما: مشابهة إحياء الله تعالى في الآخرة، لإحيائهم في الدنيا.

والحكم الناتج من ذلك: هو ثبوت إحياء الموتى يوم القيامة.

وقد وردت في القرآن الكريم أمثلة كثيرة قطعية تفيد اليقين في ثبوتها ودلالتها، فجاءت الآيات متنوعة فبعضها في إحياء كائنات حية مثل الطيور وبعضها في إحياء فرد من البشر وبعضها في إحياء مجموعة من البشر لتفيد بمجموعها عموم قدرة الله ﷻ على البعث، ومن ذلك:

أولاً: إحياء كائنات حية: وفيها دليل على عموم قدرته –سبحانه– على إحياء الأموات كافة بعد موتهم وبعثهم. ومن ذلك: ما ورد في قصة إحياء الطيور عندما طلب إبراهيم عليه السلام ذلك من الله تعالى، وفي ذلك يقول الله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[البقرة: 260].

الأصل: هو إحياء الطيور.

والفرع: إحياء الأموات يوم القيامة.

والجامع: هو مشابهة الإحياء في الدنيا للإحياء يوم القيامة.

والحكم: هو ثبوت البعث للأموات يوم القيامة.

تُعدّ هذه الآية الكريمة دليلاً على البعث؛ حيث إن إبراهيم عليه السلام طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، وفي ذلك إشارة إلى أن إبراهيم عليه السلام يؤمن بالبعث، ولكن يريد أن يرى إحياء الموتى بعينه؛ لينتقل من علم اليقين بالبعث إلى عين اليقين، فكان الجواب لإبراهيم: أولم تؤمن؟ فرد إبراهيم بما قلناه من أنه يريد أن يطمئن قلبه في إثبات البعث، وأنه مصدق به بعقله، فكان الأمر من الله تعالى له أن يأخذ أربعة من الطير، فيقطعهن ويجعل على كل جبل منهن جزءًا، ثم أمره بأن يدعوهن، وهنا جاءت قدرة الله فأحيا الطيور بعد موتها، وجاءت الطيور إلى إبراهيم تسعى، أي: تمشي، وهذا على خلاف حالة الطيور من الطيران؛ وذلك لإثبات بعث هذه الطيور بعينها، وإذا كان الله قد أحيا هذه الطيور وإبراهيم عليه السلام ينظر إليها، فإن الله تعالى قادر على إحياء الموتى من البشر يوم القيامة، فإحياء الناس بعد بعثهم يوم القيامة يشبه إحياء هذه الطيور في هذه الدنيا، وقدرة الله تعالى المتعلقة بإحياء هذه الطيور في الدنيا، تشبه القدرة التي تتعلق بإحياء البشر بعد موتهم متى أراد الله ذلك، يوم أن يبعثهم من قبورهم[26].

وجاءت هذه القصة؛ حتى يرى إبراهيم عليه السلام كيفية قدرته تعالى على الإحياء، وينتقل إبراهيم عليه السلام من علم اليقين إلى عين اليقين؛ لأن النمرود لما سأل إبراهيم عليه السلام: من ربك؟ قال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت، فكان من النمرود أن سأله: هل رأيت ذلك؟ فلم يجب إبراهيم عليه السلام[27] وانتقل إلى سؤال آخر؛ لرد شبهة النمرود، ثم بعد ذلك سأل إبراهيم عليه السلام ربه ﷻ: "رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى"، فسأله الله تعالى: "أَوَلَمْ تُؤْمِنْ"، قال إبراهيم عليه السلام: "بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي"، قال الله تعالى: "فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ" إلى آخر الآيات؛ للانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين. "واعلم أن الله عزيز حكيم"، أي: عزيز لا يغلبه شيء، ولا يمتنع من شيء، وما شاء كان بلا ممانع؛ لأنه القاهر لكل شيء، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره[28].

ثم إن الله تعالى أطلع إبراهيم عليه السلام على بعض الآيات، التي تدل على قدرته على البعث، فإن الله تعالى أيضا أطلعه في هذه القصة على كيفية التكوين، كما أطلع الرجل الذي مر على القرية على البعث فقال: أعلم علما يقينيّا مؤيدا بآيات الله في نفسي وفي الآفاق، أن الله على كل شيء قدير والتي من جملتها ما شاهدته، قدير لا يستعصي عليه أمر[29].

وفي اختلاط أجزاء الطيور بعضها مع بعض وإحيائها، وإبراهيم عليه السلام ينظر إليها رداً على منكري البعث بأن أجزاء الميت قد اختلطت بتراب الأرض وتغذى عليها النبات، والنبات أكله إنسان أو حيوان فكيف يعاد مرة أخرى؟

إن الذي أعاد إحياء الطيور التي اختلطت بعد موتها في قصة إبراهيم عليه السلام قادر على إحياء الإنسان وإن اختلطت أجزاؤه بغيره.

ثانياً: قصة الذي مر على قرية: وفيها دليل على إحياء الموتى وإثبات البعث بطريق منطقي من طرق الاستدلال غير المباشر وهو التمثيل: قال الله تعالى: **﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[البقرة: 259].

الأصل: هو إحياء العزير بعد موته.

والفرع: هو إحياء الموتى يوم القيامة.

والجامع بينهما: هو مشابهة الإحياء يوم القيامة للإحياء في الدنيا، وإذا ثبت هذا التشابه فإننا نثبت الحكم الذي حصل في الدنيا، وهو إحياء الموتى على الحكم يوم القيامة بإحيائهم يوم البعث. وهذا هو التمثيل وهو مكتمل الأركان كما رأينا.

وكان إحياء الموتى إجابة على سؤال العزير، كما في الآيات السابقة، وهذه القصة ذكرت أن الله تعالى أمات الرجل مئة عام، ومعه طعامه وشرابه، ثم أحيا الله تعالى هذا الميت وهو ينظر، وبقي طعامه وشرابه على حاله لم يتغير الطعام ولا الشراب ولم يفسدا، علماً بأن الطعام والشراب لا يبقى على حالهما في هذا الكون، بل يفسدان ويتغيران ولا يعدان صالحين للأكل بعد فترة وجيزة، فكيف بمئة عام؟ وهذا يبين قدرته على إحياء الآدميين، وإبقاء الأطعمة والأشربة لأهل الجنة في دار الحيوان بأعظم الدلالات(30).

والنتيجة: أن أماته الله تعالى مئة عام ثم أحياه؛ ليريه قدرته على إحياء الموتى ومحاسبتهم، فأقر العزير بقدرة الله تعالى لما رأى كيف أحياه الله تعالى وهو ينظر، قال تعالى على لسان العزير: "أعلمُ أنَّ اللهَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ"، فعلم أن الله تعالى قادر على الإحياء والإماتة، بما شاهده من مشاهدة محسوسة من إحيائه، وأما ذكر الطعام والشراب في الآية فهي من دلائل قدرته تعالى؛ فبقي طعامه مئة عام على حاله لم يتغير.

ثالثاً: إحياء مجموعة من البشر: ومما يدل على البعث بالطريقة ذاتها البعث كذلك؛ القصة التي جاءت في سياق إثبات نبوة موسى عليه السلام. قال الله تعالى في ذلك: **﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[البقرة: 55-56].

الأصل: هو إحياء السبعين رجلاً بعد موتهم.

والفرع: هو إحياء الموتى يوم القيامة.

والجامع بينهما: هو مشابهة الإحياء يوم القيامة للإحياء في الدنيا، وإذا ثبت هذا التشابه، فإننا نثبت الحكم الذي حصل في الدنيا، وهو إحياء الموتى على الحكم يوم القيامة بإحيائهم يوم البعث.

ووجه دلالة هذه الآية على البعث: أن الله ﷻ قد أمات هؤلاء العصبة من بني إسرائيل وكان موتهم وهم ينظرون، ثم بين الله ﷻ أنه بعثهم بعد موتهم في قوله: "ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ"، وإذا كان الله ﷻ أمات هذه العصبة من بني إسرائيل في هذه الحياة الدنيا، فمثل ذلك من الإحياء يكون يوم القيامة، فإحياؤهم في الآخرة شبيه بإحيائهم في الدنيا، وبذلك أراد الله ﷻ أن يجعل دليل البعث بعد الموت بأمر حسي وقصة واقعية، وفي هذه الآية وجه آخر في الدلالة على إمكانية البعث يوم القيامة، فإن قدرة الله تعالى التي تعلقت في هذه الدنيا بعد مشيئته لإحيائهم، فإن هذه القدرة الإلهية لهي

قادرة على أن تتعلق ببعثهم يوم القيامة عندما يشاء الله ﷻ[31].

بعد هذا العرض لهذه الأدلة، بينا ووضحنا قدرة الله تعالى على البعث، وأن الله تعالى سيحشر الناس ليوم لا ريب فيه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الخاتمة.

وفيها أهم **النتائج** التي توصلنا إليها:

- إن القرآن الكريم كان السباق في استخدام ما يُسمى بالأقيسة المنطقية والتمثيل على إثبات البعث.
- الأمثلة الدالة على قياس الأولى، وقياس الغائب على الشاهد، وكذا التمثيل مبثوثة في نصوص القرآن الكريم وقد ذكر البحث ما يتعلق منها بالبعث.
- الأدلة المنطقية بطرقها تدل على القطع واليقين فيما كان مستنبطا من القرآن الكريم.

التوصيات:

يوصي الباحثان بتطبيق هذه الأقيسة المنطقية على الآيات القرآنية، في إثبات قضايا الاعتقاد المختلفة، والرد على المخالفين في ذلك. وكذلك استخدام طرق الاستدلال المباشر وغير المباشر في إثبات ما يتعلق بقضايا الاعتقاد في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأن يكون مرجع هذه الأدلة مأخوذاً من نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش.

(1) ينظر: علي محمد جريشة (1432هـ/2011م)، **أدب الحوار والمناظرة**، مصر، دار الوفاء، 1992م، (ط2)، ص127. وينظر: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني (1425هـ/2004م)، **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**، دمشق، دار القلم، 1401هـ/1981م، (ط2)، ص 5.

(2) حبنكة، **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**، ص 147.

(3) ينظر: علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا (427هـ/1037م)، **الإشارات والتنبيهات**، تحقيق: سليمان دنيا، ط2، مصر، دار المعارف، 1971م، (ط2)، ص365. وحبنكة، **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**، مرجع سابق، ص 148.

(4) ينظر: ابن سينا ، **الإشارات والتنبيهات**، مصدر السابق، ص365.

(5) حبنكة، **ضوابط المعرفة**، مصدر السابق، ص227.

(6) حبنكة، **ضوابط المعرفة**، مصدر سابق، ص288.

(7) ينظر: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (728هـ/1328م)، **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1411هـ/1991م، (ط2)، 1/ 29، 367/7. وتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1995م، 51/14–54. وينظر: محمد الأمين

ابن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ)، مذكرة في أصول الفقه، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، (ط5)، 2001م، ص249– 252.

(8) ومن الآيات التي جاء فيها قياس الأولى قوله تعالى: **﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾**[الإسراء: 98–99]. **﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾**[يس:81]. **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[الأحقاف: 33].

(9) درء تعارض العقل والنقل، مرجع سابق، ص32.

(10) ينظر: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي (792هـ/1390م)، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، مصر، دار السلام، 1426هـ/2005م، ص 408.

(11) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (1393هـ/1974م)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت – لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ/1995م، ج7، ص183.

(12) ينظر: ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، مصدر سابق، ج1، ص33. وابن القيم، **إعلام الموقعين**، مرجع سابق، ج1، ص107.

(13) الباقلاني، أبو بكر محمد، **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، ص138.

(14) ومن تلك الآيات قوله تعالى: **﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾**[فاطر: 9]. **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[فصلت: 39].

(15) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (310هـ/923م)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، مصر، مؤسسة الرسالة، 1420هـ/2000م، ج11، ص476.

(16) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (751هـ/1350م)، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، بيروت، دار النشر دار الكتب العلمية، 1411هـ/1991م، ج1، ص112.

(17) ينظر: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (1377هـ/1957م)، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الدمام، دار ابن القيم، 1410هـ/1990م، ج2، ص762.

(18) الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، مرجع سابق، ج4، ص189.

(19) ينظر: ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، **مباحث العقيدة في سورة الزمر**، الرياض، مكتبة الرشد، 1415هـ/1995م، ص583.

(20) ينظر: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، **قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، الرياض، دار الفضيلة، 1423هـ/2002م، ص117.

(21) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (606هـ/1209م)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ/1999م (ط3)، ج17، ص195.

(22) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (671هـ/1272م) ، **الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1384هـ/1964م، (ط2)،

ج15، ص59.

(23) مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (928هـ/1522م)، **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر، 1430هـ/2009م، ج5، ص501.

(24) ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي(1371هـ/1952م)، **تفسير المراغي**، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1365هـ/1946م، ج23، ص38.

(25) ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، مصدر سابق، ج7، ص375.

(26) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الرياض، دار طيبة،1420هـ/ 1999م، (ط12)، ج1، ص529. وينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، مرجع سابق، ج3، ص25.

(27) وسبب سؤال إبراهيم عليه السلام أنه مع مناظرته للنمرود لما قال: ربي الذي يحيي ويميت، قال: أنا أحيي وأميت فأطلق محبوسا وقتل رجلا، قال إبراهيم: ليس هذا بإحياء وإماتة، وعند ذلك قال: رب أرني كيف تحيي الموتى؛ لتتكشف هذه المسألة عند النمرود وأتباعه، وروي عن النمرود أنه قال: قل لربك حتى يحييك وإلا قتلتك، فسأل الله تعالى ذلك، وقوله ليطمئن قلبي بنجاتي من القتل أو ليطمئن قلبي بقوة حجتي وبرهاني، وأن عدولي منها إلى غيرها ما كان بسبب ضعف تلك الحجة، بل كان بسبب جهل المستمع. وينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، مصدر سابق، ج7، ص 34. وينظر: القرطبي، **تفسير القرطبي**، مصدر سابق، ج1، ص 457. وينظر: ناصر الشيخ، **مباحث العقيدة في سورة الزمر**، مرجع سابق، ص 578.

(28) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الرياض، دار طيبة، 1420هـ/1999م، (ط12)، ج1، ص529.

(29) ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، مرجع سابق، ج3، ص25.

(30) **المصدر السابق**، ج7، ص376.

(31) ينظر: الرازي ، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، مصدر سابق، ج3، ص521. ومحمد بن عودة السعوي، **رسالة في أسس العقيدة**، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1425هـ، ص58. وناصر الشيخ، **مباحث العقيدة في سورة الزمر**، مرجع سابق، ص755.